سـورة الذاريات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ قال أبو بكر الأنباري: حدثنا عبد الله بن ناجية، حدثنا يعقوب ابن إبراهيم، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا الجعيد بن عبد الرحمن، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد أن رجلا قال لعمر رضي الله عنه: إني مررت برجل [١] يسأل عن تفسير مشكل القرآن، فقال عمر: اللهم أمكني منه؛ فدخل الرجل على عمر يوما وهو لابس ثيابا وعمامة وعمر يقرأ القرآن، فلما فرغ قام إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾؟ فقام عمر فحسر [٢] عن ذراعيه وجعل يجلده، ثم قال: ألبسواه ثيابه واحملوه على قتب [٣] وأبلغوا به حيه، ثم ليقم خطيبا فليقل: إن صبيغا طلب العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعا في قومه بعد أن كان سيدا فيهم [٤].

وعن عامر بن واثلة أن ابن الكواء سأل عليا رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾؟ قال: ويلك سل تَفَقُّهًا ولا تسأل تَعَنُّتًا ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ الرياح ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ السحاب ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ السفن ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة [٥]. وروى الحارث عن علي رضي الله عنه ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ قال: الرياح ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ قال: السحاب تحمل الماء كما تحمل ذوات الأربع الوقر ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ قال: السفن موقرة ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ قال: الملائكة تأتي بأمر مختلف؛ جبريل بالغلظة، وميكائيل صاحب الرحمة، وملك الموت يأتي بالموت [٦]. وقال الفراء: وقيل: تأتي بأمر مختلف من الخصب والجدب والمطر والموت والحوادث. ويقال: ذَرَتِ الرِّيحُ التُّرابَ تَذْرُوه ذَرْوا وتَذْرِية ذَرْيًا. ثم قيل: ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ وما بعده أقسام، وإذا أقسم الرب بشيء أثبت له شرفا. وقيل: المعنى ورب الذاريات، والجواب: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أي الذي توعدونه من الخير والشر والثواب والعقاب ﴿لَصَادِقٌ﴾ لا كذب فيه؛ ومعنى: ﴿لَصَادِقٌ﴾ لصدق؛ وقع الاسم موقع المصدر. ﴿وَإِنَّ

---

(١) هو صَبيغ - على وزن أمير - ابن عسل التميمى كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٣١٨)، وانظر: شرح أصول الاعتقاد للالكائى (٤/ ٦٣٥، ٦٣٦).

(٢) حسر: كشف. اللسان «جسر».

(٣) قتب: رَحْلٌ صغير علي قدر السنام. اللسان «قتب».

(٤) إسناد رجاله ثقات: وذكره الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٤٦).

(٥) صحيح: الضياء في المختارة (٢/ ١٢٤)، والحافظ ابن حجر (٨/ ٥٩٩) في الفتح، عن ابن الطُّفيل، وإن كان الطبرى قد رواه من طرق ضعيفة، وأخرى حسنة كما تفسيره (١/ ١٩١ - ١٩٣).

(٦) ضعيف: الحارث هو الأعور وهو ضعيف، وانظر: الطبري (١/ ١٩٣) في تفسيره.

الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾ يعني الجزاء نازل بكم. ثم ابتدأ قسما آخر فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات: ٨] وقيل: إن الذاريات النساء الولودات لأن في ذرايتهن ذرو الخلق؛ لأنهن يذرين الأولاد فصرن ذاريات؛ وأقسم بهن لما في ترائبهن من خيرة عباده الصالحين. وخص النساء بذلك دون الرجال وإن كان كل واحد منهما ذاريا لأمرين: أحدهما: لأنهن أوعية دون الرجال، فلاجتماع الذرويين فيهن خصصن بالذكر. الثاني: أن الذرو فيهن أطول زمانا، وهن بالمباشرة أقرب عهدا. ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ السحاب. وقيل: الحاملات من النساء إذا ثقلن بالحمل. والوقر - بكسر الواو: ثقل الحمل على ظهر أو في بطن، يقال: جاء يحمل وقره وقد أوقر بعيره. وأكثر ما يستعمل الوقر - في حمل البغل والحمار، والوسق في حمل البعير. وهذه امرأة مُوقَرة بفتح القاف إذا حملت حملا ثقيلا. وأوقرت النخلة كثر حملها؛ يقال: نخلة مُوقِرة - ومُوقِر ومُوقَرة، وحكي مُوقَر وهو على غير القياس، لأن الفعل للنخلة. وإنما قيل: مُوقِر - بكسر القاف - على قياس قولك: امرأة حامل، لأن حمل الشجر مشبه بحمل النساء؛ فأما موقر بالفتح فشاذ، وقد روي في قول لبيد يصف نخيلا:

عَصَبٌ كَوَارِعُ في خليج مُحَلِّمٍ حَمَلَتْ فمنها موقَرٌ مكْمُومُ

والجمع مواقر. فأما الوقر بالفتح فهو ثقل الأذن، وقد وقرت أذنه تَوْقَر وَقْرا أي صمت، وقياس مصدره التحريك إلا أنه جاء بالتسكين وقد تقدم في «الأنعام» القول فيه [١]. ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ السفن تجري بالرياح يسرا إلى حيث سيرت. وقيل: السحاب؛ وفي جريها يسرا على هذا القول وجهان: أحدهما: إلى حيث يسيرها الله تعالى من البلاد والبقاع. الثاني: هو سهولة تسييرها؛ وذلك معروف عند العرب، كما قال الأعشى:

كأنّ مِشْيَتَها مِنْ بيتِ جارَتِها مَشْيُ السَّحَابَةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قيل: المراد بالسماء ها هنا السُّحُب التي تظل الأرض. وقيل: السماء المرفوعة. ابن عمر: هي السماء السابعة [٢]؛ ذكره المهدوي والثعلبي والماوردي وغيرهم. وفي ﴿الْحُبُكِ﴾ أقوال سبعة [٣]: الأول: قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع: ذات الخلق الحسن المستوي. وقاله عكرمة، قال: ألم تر إلى الناسج إذا نسج الثوب فأجاد نسجه؛ يقال منه: حبك الثوب يَحْبِكُهُ بالكسر حَبْكا أي أجاد نسجه. قال ابن الأعرابي: كل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته. والثاني: ذات الزينة؛ قاله الحسن وسعيد بن جبير، وعن الحسن أيضا:

---

(١) انظر: الاية (٢٥) من سورة الأنعام. (٢) رجاله ثقات: الطبرى (٢٦/ ١٩٦) في تفسيره.

(٣) انظر: الماوردى (٥/ ٣٦١) في تفسيره، والطبرى (٢٦/ ١٩٦، ١٩٧) في تفسيره، وفي الإسناد عن ابن عباس انقطاع، لكونه من طريق علي بن أبي طلحة عنه به.

ذات النجوم وهو الثالث. الرابع: قال الضحاك: ذات الطرائق؛ يقال لما تراه في الماء والرمل إذا أصابته الريح: حبك. ونحوه قول الفراء؛ قال: الحبك تكَسُّر كل شيء كالرمل إذا مرت به الريح الساكنة، والماء القائم إذا مرت به الريح، ودرع الحديد لها حبك، والشعرة الجعدة تكسرها حبك. وفي حديث الدجال: أن شعره حبك. قال زهير:

مُكَلَّلٌ بأصولِ النَّجْمِ تَنْسِجُهُ ... رِيحٌ خَرِيقٌ لِضاحِي مائِه حُبُكُ

ولكنها تبعد من العباد فلا يرونها. الخامس: ذات الشدة، قاله ابن زيد (١)، وقرأ ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]. والمحبوك: الشديد الخلق من الفرس وغيره، قال امرؤ القيس:

قد غَدَا يَحْمِلُني في أنْفِهِ ... لاَحِقُ الإطْلَيْنِ مَحْبُوكٌ مُمَرّ (٢)

وقال آخر:

مَرِجَ الدِّينَ فأعددتُ لَهُ ... مُشْرِفَ الحارِكِ مَحْبُوكَ الْكَتَد

وفي الحديث: أن عائشة رضي الله عنها كانت تحتبك تحت الدرع في الصلاة (٣)؛ أي تشد الإزار وتحكمه. السادس: ذات الصفاقة؛ قاله خصيف، ومنه ثوب صَفِيق ووجه صَفِيق بيِّنُ الصفاقة. السابع: أن المراد بالطرق المجرة التي في السماء؛ سميت بذلك لأنها كأثر المجر. و﴿الْحُبُكِ﴾ جمع حباك، قال الراجز:

كأنّما جَلَّلَها الْحُوَّاكُ ... طنفسة في وَشْيِها حِبَاكُ

والحباك والحبيكة الطريقة في الرمل ونحوه. وجمع الحِباك حُبُك وجمع الحَبيكة حَبَائك، والحَبَكَةُ مثل العبكة وهي الحبة من السويق، عن الجوهري. وروي عن الحسن في قوله: ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ «الحُبْك» و« الحِبْك » و« الحَبْك » والحِبَك والحُبك ،وقرأ أيضا ﴿ الْحُبُكِ ﴾كالجماعة (٤). وروي عن عكرمة وأبي مجلز «الحُبَك » و«الحُبَك » واحدتها حبيكة؛ «الحُبْك » مخفف منه. و«الحِبَك » واحدتها حِبْكة. ومن قرأ: «الحُبَك » الواحدة حُبْكة كبرقة وبُرَق أوحُبُكة كَظُلُمة وظُلَم. ومن قرأ «الحِبْك » هو كإبل وإطل و«الحبْك » مخففة منه. ومن قرأ «الحِبُك » فهو شاذ إذ ليس في كلام العرب فِعُل، وهو محمول على تداخل اللغات، كأنه كسر الحاء ليكسر الباء ثم تصور ﴿ الْحُبُكِ﴾ فضم الباء. وقال جميعه المهدوي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ هذا جواب القسم الذي هو ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ أي إنكم يا أهل مكة ﴿فِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ في محمد والقرآن فمن مصدق ومكذب. وقيل: نزلت في المقتسمين. وقيل: اختلافهم قولهم: ساحر بل شاعر بل افتراه بل هو مجنون بل هو كاهن بل هو أساطير الأولين. وقيل: اختلافهم أن منهم من نفى الحشر ومنهم من شك فيه. وقيل: المراد عبدة الأوثان والأصنام يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره. قوله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ أي يصرف عن الإيمان بمحمد

(١) ضعيف جدًا: أرسله أبو قلابة كما ذكره ابن كثير (٧/ ٣١٩) في تفسيره، ووصله الهيثمي (٦/ ٣٠٣، ٣١٠) في المجمع ضمن حديث طويل وعزاه للطبراني، وفيه جويبر وهو متروك.

(٢) الطبري (٢٦/ ١٩٦) في تفسيره.

(٣) ذكره البيهقي (٢/ ٢٣٥) منقطعًا في سننه الكبرى (٢/ ٢٣٥).

(٤) القراءة ـ بضم الحاء والباء ـ متواترة: تقريب النشر(ص١٧٦).

والقرآن من صرف؛ عن الحسن (١) وغيره. وقيل: المعنى يصرف عن الإيمان من أراده بقولهم هو سحر وكهانة وأساطير الأولين. وقيل: المعنى يصـرف عن ذلك الاختلاف من عصمه الله. أَفَكَهُ يَأْفِكُهُ أَفْكًا أي قلبه وصرفـه عن الشيء؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢] وقال مجاهد: معنى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ يؤفن عنه من أفن، والإفن: فساد العقل. الزمـخشري: وقرئ: « يؤفن عنه من أفن » (٢) أي يحرمه من حرم؛ من أفك الضرع إذا أنهكه حـلبا. وقال قطرب: يخدع عنه من خدع. وقال اليزيدي: يدفع عنه من دفع. والمعنى واحد وكله راجع إلى معنى الصرف.

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ في التفسير: لُعن الكذابون. وقال ابن عباس: أي قتل المرتابون؛ يعني الكهنة (٣). وقال الحسن: هم الذين يقولون لسنا نبعث (٤). ومعنى ﴿قُتِلَ﴾ أي هؤلاء ممن يجب أن يدعى عـليـهم بالقـتل عـلى أيدي المؤمنين. وقـال الفـراء: مـعنى ﴿قُـتِلَ﴾ لُعن؛ قـال: و﴿الْخَرَّاصُونَ﴾ الكذابون الذين يتخرصون بما لا يعلمون؛ فيقولون: إن محمدا مجنون كذاب. ساحر شاعـر؛ وهذا دعاء عليـهم؛ لأن من لعنه الله فهـو بمنزلة المقتـول الهالك. قال ابن الأنبـاري: علمنا الدعاء عليهم؛ أي قولوا: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ وهو جمع خَارِص والخَرْصُ الكذب، والخَرَّاصُ الكذاب، وقد خَـرَصَ يَخْـرُصُ بالضم خرصـا أي كذب؛ يقـال: خَرَص واخْـتَرص، وخَلَقَ واخْـتَلَقَ، وبَشَكَ وابْتَشَكَ، وسَرَجَ واسْتَرجَ، ومَانَ، بمعنى كَـذَب؛ حكاه النحاس. والخرص أيضا :حزر ما على النخل من الرطب تمرا. وقد خـرصت النخل والاسم الخرص بالكسر؛ يقال: كم خـرص نخلك؟ والخراص الذي يخرصها فهو مشـترك. وأصل الخرص القطع على ما تقدم بيانه في «الأنعام» (٥)، ومنه الخريص للخليج؛ لأنه ينقطع إليـه الماء، والخِرْصُ :حـبة القرط إذا كـانت منفردة؛ لانقطاعـها عن أخـواتها، والخِرْصُ : العود؛ لانقطاعه عن نظائره بطيب رائحـته. والخَرِصُ: الذي به جوع وبرد لأنه ينقطع به، يقال: خَرِصَ الرَّجُلُ بالكسر فهو خَرِصٌ، أي جائع مقرور، ولا يقال للجوع بلا برد :خَرِص. ويقال للبرد بلا جـوع :خرص. والخرص بالضم والـكسر الحلقة من الذهب أو الفـضة والجمع الخـرصان. ويدخل في الخرص قول المنجمين وكل من يدعي الحدس والتخمين. وقـال ابن عباس: هم المقتسمون الذين اقتسموا أعقاب مكة، واقتسموا القول في نبي الله ﷺ ليصرفوا الناس عن الإيمان به (٦).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ الغمرة: ما ستر الشيء وغطاه. ومنه نهر غَمْر أي يغمر من دخله، ومنه غـمرات الموت. ﴿سَاهُونَ﴾ أي لاهون غـافلون عن أمر الآخـرة. ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي متى يوم الحسـاب؛ يقولون ذلك استهزاء وشكا في القـيامة ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ نصب ﴿يَوْمَ﴾ على تقدير الجزاء أي هذا الجزاء ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي يحرقون، وهو من قولهم: فتنت

(١) صحيح إلى الحسن : الطبرى (٢٦/ ١٩٧) في تفسيره .
(٢) قراءة شاذة وهى عند الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٧) .
(٣) ضعيف : الطبرى (٢٦/ ١٩٨) في تفسيره من طريق العوفيين .
(٤) المحرر الوجيز (٦/ ١٩٨) لابن عطية بنحوه .
(٥) الآية (١١٦) من سورة الأنعام .
(٦) ذكره السمرقندى فى سورة الحجر (٢/ ٤٦٣) ،وابن عادل في اللباب (١٣/ ٣٤٧)، وانظر الآية (٩٠) من سورة الحجر ،وانظر: تفسير البغوى (٧/ ٣٧٢) .

الذهب أي أحرقته لتختبره؛ وأصل الفتنة الاختبار. وقيل: إنه مبني بني لإضافته إلى غير متمكن، وموضعه نصب على التقدير المتقدم، أو رفع على البدل من ﴿يوم الدين﴾. وقال الزجاج: يقول: يعجبني يوم أنت قائم ويوم أنت تقوم، وإن شئت فتحت وهو في موضع رفع، فإنما انتصب هذا وهو في المعنى رفع. وقال ابن عباس: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يعذبون. ومنه قول الشاعر:

كلُّ امرئٍ من عبادِ اللَّه مُضطَهدٌ ... ببطنِ مكةَ مقهورٌ ومفتونُ

قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي يقال لهم: ذوقوا عذابكم؛ قاله ابن زيد [(١)]. مجاهد: حريقكم [(٢)]. ابن عباس: أي تكذيبكم يعني جزاءكم [(٣)]. الفراء: أي عذابكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في الدنيا. وقال: ﴿هَذَا﴾ ولم يقل هذه؛ لأن الفتنة هنا بمعنى العذاب.

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ لما ذكر مآل الكفار ذكر مآل المؤمنين أي هم في بساتين فيها عيون جارية على نهاية ما يتنزه به. ﴿آخِذِينَ﴾ نصب على الحال ﴿مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي ما أعطاهم من الثواب وأنواع الكرامات؛ قاله الضحاك [(٤)]. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي عاملين بالفرائض [(٥)]. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أي قبل دخولهم الجنة في الدنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾ بالفرائض. وقال ابن عباس: المعنى كانوا قبل أن تفرض عليهم الفرائض محسنين في أعمالهم [(٦)].

﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝١٩ ﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ⑰﴾ معنى ﴿يَهْجَعُونَ﴾ ينامون؛ والهجوع: النوم ليلا، والتهجاع النومة الخفيفة؛ قال أبو قيس بن الأسلت:

قد حصَّتِ البيضةُ رأسي فَمَا ... أَطْعَمُ نَوماً غيرَ تَهْجاعِ

وقال عمرو بن معدي كرب يتشوق أخته وكان أسرها الصمة أبو دريد بن الصمة:

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ ... يُؤَرِّقُنِي وأَصحابي هُجوعُ

يقال: هَجَعَ يَهْجَعُ هُجُوعا، وهَبَغَ يَهْبَغُ هُبُوغا بالغين المعجمة إذا نام؛ قاله الجوهري. واختلف في ﴿ما﴾ فقيل: صلة زائدة؛ قاله إبراهيم النخعي [(٧)]، والتقدير: كانوا قليلا من الليل يهجعون؛ أي

---

(١) الطبرى في تفسيره (٢٦/ ٢٠١).

(٢) صحيح إلى مجاهد: الطبرى في تفسيره (٢٦/ ٢٠١).

(٣) ضعيف: الطبرى في تفسيره (٢٦/ ٢٠٢) من طريق العوفيين.

(٤، ٥) إسناده إلى ابن عباس فيه نظر: السابق (٢٦/ ٢٠٢)، والبغوى (٧/ ٣٧٢) في تفسيره، وأثر الضحاك ذكراه دون عزوه كما عند البغوى (٧/ ٣٧٢) في تفسيره.

(٦) كذا عند الطبرى (٦/ ٢٠٢) في تفسيره، وفى سنده محمد بن حميد وهو متهم بالكذب

(٧) رواه الطبرى (٢٦/ ٢٠٥) في تفسيره وفى سنده ابن حميد وهو متهم بالكذب.

ينامون قليـلا من الليل ويصلون أكثره. قـال عطاء: وهذا لما أمروا بقيـام الليل. وكان أبو ذر يحتـجز ويأخذ العصا فيعتـمد عليها حتى نزلت الرخصة ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١) [المزمل: ٢] الآية. وقيل: ليس ﴿مَا﴾ صلة بل الوقف عند قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ ثم يبتدئ ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ فـ ﴿مَا﴾ للنفي وهو نفى النوم عنهم البتة. قال الحسن: كانوا لا ينامون من الليل إلا أقله وربما نشطوا فجدوا إلى السحر (٢).

وروي عن يعقوب الحضرمي أنه قال: اختلفوا فـي تفسير هذه الآية فقال بعضهم: ﴿كَانُوا قَلِيلًا﴾ معناه كان عددهم يسـيرا ثم ابتدأ فقال: ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ على معنى من الليل يهجعون. قال ابن الأنباري: وهذا فاسد؛ لأن الآية إنما تدل على قلة نومـهم لا على قلة عددهم، وبعد فلو ابتدأنا ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ على معنى من الليل يهجعون لم يكـن في هذا مدح لهم؛ لأن الناس كلهم يهجعون من الليل إلا أن تكون ﴿مَا﴾ جحدا.

قلت: وعلى ما تأوله بعض الناس - وهو قـول الضحاك (٣) - من أن عددهم كان يسيرا يكون الكلام متصلا بما قبل من قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الذاريات] أي كان المحسنون قليلا، ثم استأنـف فقال: ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ وعلى التأويل الأول والثاني يكون ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ خطابا مستأنفا بعـد تمام ما تقدمه ويكون الوقف على ﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾، وكذلك إن جعلت ﴿قَلِيلًا﴾ خبر كان وترفع ﴿مَا﴾ بقليل؛ كـأنه قال: كانوا قلـيلا من الليل هجـوعهم. فـ ﴿مَا﴾ يجوز أن تكون نافـية، ويجوز أن تكون مـع الفعل مصـدرا، ويجوز أن تكون رفـعا على البدل من اسم كـان، التقـدير كان هجوعهم قليلا من الليل، وانتصاب قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ إن قدرت ﴿مَا﴾ زائدة مؤكدة بـ ﴿يَهْجَعُونَ﴾ على تقدير كانوا وقـتا قليلا أو هجوعا قليلا يهـجعون، وإن لم تقدر ﴿مَا﴾ زائدة كان قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ خبر كان ولم يجز نصبه بـ ﴿يَهْجَعُونَ﴾؛ لأنه إذا قدر نصبه بـ ﴿يَهْجَعُونَ﴾ مع تقدير ﴿مَا﴾ مصدرا قدمت الصلة على الموصـول. وقال أنس وقـتادة في تأويـل الآية: أي كانوا يصلون بين العـشاءين: المغـرب والعشاء (٤). أبو العالية: كانوا لا يـنامون بين العشاءين (٥). وقاله ابن وهب. وقال مـجاهد: نزلت في الأنصار كانوا يصلون العشـاءين في مسجد النبي ﷺ ثم يمضون إلى قباء (٦). وقال محمد بن علي بن الحسين: كانوا لا ينامون حـتى يصلوا العتمة (٧). قال الحسن: كأنه عَـدَّ هجوعهم قليلا في جنب يقظتهم للصلاة (٨). وقال ابن عباس ومطرف: قل ليلة لا تأتي عليـهم إلا يصلون لله فيها إما

---

(١) رواه ابن أبي شيبـة في المصنف (٦٣٠٠)، عن ابن جريج، عن عطاء ولو كان الخراساني فـفيه انقطاع بينه وبين أبي ذر ـ رضي الله عنه، فإنه لم يسمع أحدًا من الصحابة عندما قدم إلى المدينة كما في سير أعلام النبلاء (٦/ ١٤١) للذهبي.

(٢) **حسن**: الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢٠٤).

(٣) **ضعيف إليه**: كما في تفسير الطبري (٢٦/ ٢٠٥).

(٤) **صحيح**: أبو داود في الصلاة (٣٢١، ١٣٢٢) من طريق قتادة، عن أنس وصححه الألباني هناك.

(٥) **حسن**: الطبرى في تفسيره (٢٦/ ٢٠٣).

(٦) مرسل: السابق(٢٦/ ٢٠٣).

(٧) **محتمل للتحسين**: ففيه بكر بن أبي السميط وهو مختلف فيه، وقد رواه الطبرى في تفسيره (٢٦/ ٢٠٣).

(٨) انظر: قيام الليل (ص٧١).

من أولها وإما من وسطها[١].

الثانية: روي عن بعض المتهجدين أنه أتاه أت في منامه فأنشده:

وكيف تنامُ الليلَ عينٌ قريرةٌ ولم تَدرِ في أيّ المجالسِ تنزِلُ

وروي عن رجل من الأزد أنه قال: كنت لا أنام الليل فنمت في آخر الليل، فإذا أنا بشابين أحسن ما رأيت ومعهما حُلل، فوقفا على كل مُصَلٍّ وكسواه حلة، ثم انتهيا إلى النيام فلم يكسوهم، فقلت لهما: اكسواني من حللكما هذه؛ فقالا لي: إنها ليست حلة لباس إنما هي رضوان الله يحل على كل مصل. ويروى عن أبي خلاد أنه قال: حدثني صاحب لي قال: فبينا أنا نائم ذات ليلة إذ مثلت لي القيامة، فنظرت إلى أقوام من إخواني قد أضاءت وجوههم، وأشرقت ألوانهم، وعليهم الحُلل من دون الخلائق، فقلت: ما بال هؤلاء مكتسون والناس عراة، ووجوههم مشرقة ،ووجوه الناس مغبرة ! فقال لي قائل: الذين رأيتهم مكتسون فهم المصلون بين الأذان والإقامة، والذين وجوههم مشرقة فأصحاب السهر والتهجد، قال: ورأيت أقواما على نجائب، فقلت: ما بال هؤلاء ركبانا والناس مشاة حفاة؟ فقال لي: هؤلاء الذين قاموا على أقدامهم تقربا لله تعالى فأعطاهم الله بذلك خير الثواب؛ قال: فصحت في منامي: واها للعابدين، ما أشرف مقامهم! ثم استيقظت من منامي وأنا خائف.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ مدح ثان؛ أي يستغفرون من ذنوبهم؛ قاله الحسن. والسحر وقت يرجى فيه إجابة الدعاء. وقد مضى في «آل عمران» القول فيه[٢]. وقال ابن عمر ومجاهد: أي يصلون وقت السحر فسموا الصلاة استغفارا[٣]. وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ مدوا الصلاة من أول الليل إلى السحر ثم استغفروا في السحر[٤]. ابن وهب: هي في الأنصار؛ يعني أنهم كانوا يغدون من قباء فيصلون في مسجد النبي ﷺ. ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قالوا: كانوا يَنْضَحُون لناسٍ من الأنصار بالدلاء على الثمار ثم يهجعون قليلا، ثم يصلون آخر الليل. الضحاك: صلاة الفجر. قال الأحنف بن قيس: عرضت عملي على أعمال أهل الجنة فإذا قوم قد باينونا بَوْنًا بعيدا لا نبلغ أعمالهم ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ وعرضت عملي على أعمال أهل النار فإذا قوم لا خير فيهم، يكذبون بكتاب الله وبرسوله وبالبعث بعد الموت، فوجدنا خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا[٥].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ مدح ثالث. قال محمد بن سيرين

---

(١) صحيح إلى مطرّف ، وحسن إلى ابن عباس : الطبري (٢٦/ ٢٠٣) في تفسيره ،والبغوى (٧/ ٣٧٢) في تفسيره.

(٢) الآية (١٧) من سورة آل عمران .

(٣) صحيح : وإن كان في إسناد الطبري محمد بن حميد ، وانظر: الطبري (٢٦/ ٢٠٦، ٢٠٧) في تفسيره .

(٤) حسن : الطبري (٢٦/ ٢٠٤) في تفسيره .

(٥) ضعيف : رواه الطبرى (٢٦/ ٢٠٤) في تفسيره ،وابن كثير (٨/ ٣٢١) في تفسيره،وفى سنده الحكم بن عطية ، وقد روى مناكير وضعفوه كما في الميزان (٢/ ٣٤٣) .

وقتادة: الحق هنا الزكاة المفروضة [١]. وقيل: إنه حق سوى الزكاة يصل به رحما، أو يقري به ضيفا، أو يحمل به كَلاّ، أو يغني محـروما. وقاله ابن عباس[٢]؛ لأن السورة مكية وفرضت الزكاة بالمدينة. ابن العربي[٣]: والأقوى في هذه الآية أنهـا الزكاة؛ لقوله تعـالى في سورة ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾«المعارج»: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٥] والحق المعلوم هو الزكاة التي بَيَّنَ الشرع قدرها وجنسها ووقتها، فأما غيرها لمن يقول به فليس بمعلوم؛ لأنه غير مقدر ولا مجنس ولا موقت.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ السائل الذي يسـأل الناس لفاقته؛ قـاله ابن عباس وسعيد بن المسيب وغيرهما [٤]. ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي حرم المال. واختلف في تعيينه؛ فقال ابن عباس وسعيد بن المسيب وغيرهما: المحـروم: المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم. وقالت عائشة رضي الله عنها: المحـروم: المحارف الذي لا يتيسر لـه مكسبه[٥]؛ يقال: رجل مُحَـارَفَ ـ بفتح الراء ـ أي محدود محروم، وهو خلاف قولك مبارك. وقد حورف كسب فلان إذا شدد عليه في معاشه كأنه ميل برزقـه عنه. وقـال قـتـادة والزهري: المحـروم المتـعـفف الذي لا يسـأل النـاس شـيـئـا ولا يعلم بحاجـته[٦]. وقال الحسن ومحـمد ابن الحنفـية: المحـروم الذي يجيء بعد الغـنيمة ولـيس له فيـها سهم[٧]. روي أن النبي ﷺ بعث سرية فـأصابوا وغنمـوا فجاء قوم بـعد ما فـرغوا فنزلت هذه الآية ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ﴾ [٨]. وقـال عكرمة: المحـروم الذي لا يبقى له مـال [٩]. وقـال زيـد بن أسلم: هـو الذي أصيب ثـمره أو زرعـه أو نسل مـاشيته [١٠]. وقال القرظي: المحروم الذي أصـابته الجائحة ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ نظيره في قـصة أصحاب الجنة حـيث قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [١١] [الواقعة: ٦٦] وقال أبو قلابة: كان رجل من أهل اليمـامة له مال فجـاء سيل فذهب بماله، فقال رجل من أصـحابه: هذا المحروم فاقسـموا له. وقيل: إنه الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه. وهو يروى عن ابن عبـاس أيضا [١٢]. وقال عـبد الرحمن بن حـميد: المحـروم المملوك. وقيل: إنه الكلب؛ روي أن عمـر بـن عـبد العزيز كان في طريق مكة، فجاء كـلب فانتزع عمر رحمه الله كتف شاة فرمى بها إليـه وقال: يقولون: إنه المحروم [١٣]. وقيل: إنه من وجبت نفقـته بالفقر من ذوي

---

(١) غريب وانظر التالي.

(٢) عزاه السيوطي في الدر لابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٣٥)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٠).

(٣) أحكام القرآن (٤/ ١٧٣٠) لابن العربي المالكي. (٤) فتح القدير للشوكاني (٧/ ٤٢).

(٥) حسن: ابن أبي حـاتم في تفسيره كـما في الدر المنثور (٦/ ١٣٥) من طريق عـروة عنها، وانظر تفسـير ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٠).

(٦) صحيح إليهما: الطبري (٢٦/ ٢٠٩) في تفسيره، والبغوي في تفسيره (٧/ ٣٧٣).

(٧) تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٠)، وزاد المسير (٥/ ٤٢١) لابن الجوزي.

(٨) ضعيف للإرسال: السابق (١٢/ ٢٥٠)، والطبري (٢٦/ ٢٠٩) في تفسيره، ولباب النقول للسيوطي (ص٣٨٦، ٣٨٧).

(٩ ـ ١١) انظر: فتح القدير (٧/ ٤٢) للشـوكاني، والطبري (٢٦/ ٢٠٨) في تفسيره بسند صـحيح إلى أبي قلابة، وعن عكرمة.

(١٢) منقطع: النكت والعيون للماوردى (٤/ ١٧٠)، والطبري (٢٩/ ٢٨) في تفسيره بسند منقطع بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس ـ رضي الله عنهما.

(١٣) كذا ذكره ابن الجوزى في زاد المسير (٥/ ٤٢١).

الأنساب؛ لأنه قد حرم كسب نفسه حتى وجبت نفقته في مال غيره. وروى ابن وهب عن مالك: أنه الذي يحرم الرزق، وهذا قول حسن؛ لأنه يـعم جميع الأقوال. وقال الشعبي: لي اليـوم سبعون سنة منذ احتلمت أسأل عن المحروم فما أنا اليوم بأعلم مني فيـه يومئذ. رواه شعبة عن عاصم الأحول عن الشعبي[١]. وأصله في اللغة الممنوع من الحرمان وهو المنع. قال علقمة:

ومُطْعَمُ الغُنْمِ يومَ الغُنْم مُطْعَمُهُ أنَّى تَوَجَّه والمحرومُ محروم

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيـامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا عليـهم فيقول الله تعـالى: وعزتي وجلالي لأقربنكم ولأبعـدنهم» ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [٢]ذكره الثعلبي.

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ لما ذكر أمـر الفريقين بَيَّنَ أن في الأرض عـلامات تدل على قدرته على البعث والنشور؛ فـمنها: عود النبات بعد أن صار هشيمـا، ومنها: أنه قدر الأقوات فيـها قوامـا للحيـوانات، ومنها: سيـرهم في البلدان التي يشاهدون فـيها آثار الهلاك النازل بالأمم المكذبة. والموقنون هم العارفـون المحققون وحدانية ربـهم، وصدق نبوة نبيهم؛ خـصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بتلك الآيات وتدبرها.

قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ قيل: التقدير وفي الأرض وفي أنفسكم آيات للموقنين. وقال قـتادة: المعنى من سار في الأرض رأى آيات وعـبرا، ومن تفكر في نفـسه علم أنه خلق ليعبد الله[٣]. ابن الزبير ومجاهد: المراد سبيل الخلاء والبول [٤]. وقال السائب بن شريك: يأكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين؛ ولو شرب لبنا محضا لخرج منه الماء ومنه الغائط؛ فتلك الآية في النفس. وقال ابن زيد: المعنى أنه خلقكم من تراب، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴿ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [٥] [الروم: ٢٠]. السدي ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾ أي في حياتكم وموتكم، وفيما يدخل ويخرج من طعامكم [٦]. الحسن: وفي الهـرم بعد الشبـاب، والضعف بعـد القوة، والشيب بعـد السواد. وقيل: المعنى وفـي خلق أنفسكم من نطفـة وعلقة ومضـغة ولحم وعظم إلى نفخ الروح، وفي اخـتلاف

---

(١) صحيح إلى الشعبي: هو بنحوه عند ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٠).

(٢) ضعـيف: الهيـثمي في المجـمع (٣/ ٦٢) وعزاه للطبـراني في الصغـير والأوسط، وقـال: «فيـه الحارث بن النعمان، وهو ضعـيف»، وكذا رواه الديلمي في مسند الفردوس (٤/ ٣٩٢)، وانظره مخـتصرًا عند الألباني (٦١٤٠) في ضعيف الجامع.

(٣) صحيح إلى قتادة: الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢١١)، وعزاه السيوطي في الدر (٦/ ١٣٧) إلى أبي الشيخ وابن المنذر.

(٤) حسن: الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢١١)، وابن أبي حاتم في تفـسيره (١٢/ ٢٥٠)، وشعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٢٩٣).

(٥) الطبري في تفسيره بنحوه (٢٦/ ٢١١). (٦) تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٠).

الألسنة والألوان والصور، إلى غير ذلك من الآيات الباطنة والظاهرة، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وما خصت به من أنواع المعـاني والفنون، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف والأبصار والأطراف وسائر الجوارح، وتأتيـها لما خلقت له، وما سوى في الأعضاء من المـفاصل للانعطاف والتثني، وأنه إذا جسا (١) شيء منها جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني بصر القلب ليعرفوا كمال قدرته. وقيل: إنه نجح العاجز، وحرمان الحازم.

قلت: كل ما ذكر مراد في الاعتبار. وقد قدمنا في آية التوحيد من سورة «البقرة» (٢) أن ما في بدن الإنسان الذي هو العالم الصغير شيء إلا وله نظير في العالم الكبير، وذكرنا هناك من الاعتبار ما يكفي ويغني لمن تدبر.

قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال سعيد بن جبـير والضحاك: الرزق هنا ما ينزل من السماء من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيا به الخلق (٣). قال سعيد بن جبير: كل عين قائمة إنها من الثلج (٤). وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصـحابه: فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (٥). وقال أهل المعاني ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ معناه وفي المطر رزقكم؛ سمي المطر سماء لأنه من السماء ينزل. قال الشاعر:

إذا سقَط السماءُ بأرضِ قَوْمٍ رعيناه وإنْ كانوا غضَابَا

وقال ابن كيسان: يعني وعلى رب السماء رزقكم؛ نظيره ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. وقال سفيان الثوري: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي عند الله في السماء رزقكم (٦). وقيل: المعنى وفي السماء تقدير رزقكم، وما فيه لكم مكتوب في أم الكتاب. وعن سفيان قال: قرأ واصل الأحدب ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ فقال: ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض! فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئـا فإذا هو في الثالثة بدوخلة (٧) رطب، وكان له أخ أحسن نية منه فـدخل معه فصارتا دوخلتين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق الله بالموت بينهما (٨). وقرأ ابن محيصن ومجاهد: «وفي السماء رازقكم» بالألف وكذلك في آخرها «إن الله هو الرّازق». ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال مجاهد: يعني من خير وشر (٩). وقال غيره: من خـير خاصة. وقيل: الشر خاصة. وقـيل: الجنة؛ عن سفيان بن عيينة (١٠). الضحاك: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الجنة والنار. وقال ابن سـيرين: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من أمر الساعة. وقاله الربيع.

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ أكد ما أخبرهم به من البعث وما خلق في السماء من الرزق، وأقـسم عليه بأنـه لحق ثم أكده بقـوله: ﴿مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ وخص النطق من بين سـائر

---

(١) جسا: يبس وضعف. اللسان «جسأ». (٢) يقصد الآية (١٦٤).

(٣، ٤) ضعيف جدًا إلى الضحاك: الطبري (٢٦/ ٢١٢) في تفسيره وفيه جويبر تالف، ورواه عن سعيد بن جبير أيضًا.

(٥) ضعيف الطبري (٢٦/ ٢١٢) في تفسيره.

(٦) ضعيف: الطبري (٢٦/ ٢١٢) من طريق ابن حميد وهو متهم.

(٧) دَوْخَلة: سفيفة من خوص يوضع فيها التمر والرطب اللسان «دخل».

(٨) ضعيف: وقد سبق. (٩) صحيح إلى مجاهد: تفسيرالطبري (٢٦/ ٢١٣).

(١٠) ضعيف جدًا إليهما: في سند سفيان ابن حميد، وفي سند الضحاك: جويبر وهو متروك: الطبري(٢٦/ ٢١٣).

الحواس؛ لأن ما سواه من الحـواس يدخله التشبيه، كالذي يرى في المرآة، واسـتحالة الذوق عند غلبة الصفراء ونحـوها، والدوى والطنين في الأذن، والنطق سالم من ذلك، ولا يعتـرض بالصدى لأنه لا يكون إلا بعد حصـول الكلام من الناطق غير مشوب بما يشكل به. وقال بعض الحـكماء: كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسـان غيره، فكذلك كل إنسـان يأكل رزقه ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره.

وقال الحـسن: بلغني أن نبي الله ﷺ قال: «قـاتل الله أقـواما أقـسم لهم ربهم بنفسـه ثم لم يصدقوه قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾»(١).

وقال الأصمعي: أقـبلت ذات مرة من مسجد البصرة إذ طلع أعـرابي جلف جاف على قعود له مـتقلدا سـيفـه وبيـده قوسـه، فدنـا وسلم وقال: ممن الرجل ؟ قلـت: من بني أصمع، قـال: أنت الأصمـعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقـبلت؟ قلت: من موضع يتلى فـيه كلام الرحـمن؛ قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون ؟ قلت: نعم؛ قال: فاتل عليَّ منه شيئا؛ فقرأت ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١﴾ إلى قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ فقـال: يا أصمـعي حسبك! ! ثم قـام إلى ناقتـه فنحرها وقطعـها بجلدها.

وقال: أعني على توزيعها؛ فـفرقناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقـوسه فكسرهما ووضعـهما تحت الرحل وولى نحو البـادية وهو يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فمقت نفسي ولمتها، ثم حججت مع الرشيد، فبـينما أنا أطوف إذا أنا بصوت رقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي وهو ناحل مصفر، فسلم علي وأخذ بيدي وقـال: اتل عليَّ كلام الرحمن، وأجلسني من وراء المقام فقرأت ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ حتى وصلت إلى قـوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فقال الأعـرابي: لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقا، وقـال: وهل غير هذا ؟ قلت: نعم؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ قال: فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله! من الذي أغضب الجليل حتى حلف! ألم يصدقوه في قوله حتى ألجؤوه إلى اليمين ؟ فقالها ثلاثا وخرجت بها نفسه.

وقال يزيد بن مرثد: إن رجلا جاع بمكان ليس فيه شيء فقال: اللهم رزقك الذي وعدتني فأتني به؛ فشـبع وروي من غير طعـام ولا شراب. وعن أبي سعـيد الخدري قـال: قال النبي ﷺ: «لو أن أحدكم فر من رزقـه لتبعه كما يتـبعه الموت» (٢) أسنده الثعلبي. وفي «سنن ابن ماجـه» عن حبة(٣) وسواء ابني خالد قالا: دخلنا على النبي ﷺ وهو يعالج شيئا فأعناه عليه، فقال: «لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما ،فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله»(٤).

وروي أن قوما من الأعراب زرعوا زرعا فأصابته جـائحة فحزنوا لأجله، فخرجت عليهم أعرابية

---

(١) مرسل ضعيف : الطبري (٢٦/ ٢١٣) في تفسيره ،وابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥١) .

(٢) ضعيف جدًا : الديلمي في مسند الفردوس (٥٠٩٢) ، وابن عدي في الكامل (٦/ ١٩) .

(٣) حبَّة : ابن خالد الخـزاعي صحابي معدود في أهل الكوفة ، وسمى الأعـمش أخاه (سوارًا بدلاً من(سواء) مع التشديد ،واعتمد ابن حجر الأول كما في الإصابة (١/ ٣٠٤ ،٢/ ٩٥) .

(٤) ضعيف : ابن مـاجه (٤١٦٥) في الزهد وضعفه الألبـاني هناك ، وأحمد (٣/ ٤٦٩) . =

فقالت: ما لي أراكم قد نكستم رؤوسكـم، وضاقت صدوركم، هو ربنا والعالم بنا، رزقنا عليه يأتينا به حيث شاء! ثم أنشأت تقول:

لو كان في صخرةٍ في البحر راسية ... صمًّا مُلَمْلَمَةً مَلْسًا نَواحيها
رزقٌ لنفسٍ بَرَاهَا الله لانفلقتْ ... حتى تؤدي إليها كُلَّ ما فيها
أو كان بين طباقِ السبعِ مسلكها ... لَسَهَّلَ الله في المرقى مَرَاقيها
حتى تنالَ الذي في اللوح خُطَّ لها ... إنْ لم تَنَلْه وإلا سوف يأتيها

قلت: وفي هذا المعنى قصة الأشعريين حين أرسلوا رسولهم إلى النبي ﷺ فسمع قوله تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود: ٦] فرجع ولم يكلم النبي ﷺ وقال: ليس الأشعريون بأهون على الله من الدواب؛ وقد ذكرناه في سورة «هود»(١). وقال لقمان: ﴿**يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ**﴾ [لقمان: ١٦]الآية. وقد مضى في «لقمان» وقد استوفينا هذا الباب في كتاب: « قمع الحرص بالزهد والقناعة» والحمد لله. وهذا هو التوكل الحقيقي الذي لا يشوبه شيء، وهو فراغ القلب مع الرب؛ رزقنا الله إياه ولا أحالنا على أحد سواه بمنه وكرمه.

قوله تعالى: ﴿**مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾ قراءة العامة ﴿**مِثْلَ**﴾ بالنصب أي كمثل ﴿**مَا أَنَّكُمْ**﴾ فهو منصوب على تقدير حذف الكاف أي كمثل نطقكم و﴿**مَا**﴾ زائدة؛ قاله بعض الكوفيين. وقال الزجاج والفراء: يجوز أن ينتصب على التوكيد؛ أي لحق حقا مثل نطقك؛ فكأنه نعت لمصدر محذوف، وقول سيبويه: إنه مبني بني حين أضيف إلى غير متمكن و﴿**مَا**﴾ زائدة للتوكيد. المازني﴿**مِثْلَ**﴾ مع ﴿**مَا**﴾ بمنزلة شيء واحد فبني على الفتح لذلك. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ قال: ولأن من العرب من يجعل مثلا منصوبا أبدا؛ فتقول: قال لي رجل مثلك، ومررت برجل مثلك بنصب مثل على معنى كمثل. وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي والأعمش « مثلُ »(٢) بالرفع على أنه صفة لحق؛ لأنه نكرة وإن أضيف إلى معرفة، إذ لا يختص بالإضافة لكثرة الأشياء التي يقع بعدها التماثل بين المتماثلين. و﴿**مِثْلَ**﴾ مضاف إلى ﴿**أَنَّكُمْ**﴾ و﴿**مَا**﴾ زائدة ولا تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر إذ لا فعل معه تكون معه مصدرا. ويجوز أن تكون بدلا من ﴿**لَحَقٌّ**﴾.

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ**﴾ ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ليبين بها أنه أهلك المكذب بآياته كما فعل بقوم لوط. ﴿**هَلْ أَتَاكَ**﴾ أي ألم يأتك. وقيل: ﴿**هَلْ**﴾ بمعنى قد؛ كقوله

= والقشرهنا: المراد به الثياب كما في النهاية لابن الأثير ـ رحمه الله (٤/ ٦٤).

(١) عند الآية (٦) من سورة **هود**.

(٢) قراءة متواترة. تقريب النشر (ص ١٧٦).

تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان : ١] . وقد مضى الكلام في ضيف إبراهيم في «هود»(١) «والحجر»(٢) . ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ أي عند الله؛ دليله قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] قال ابن عباس: يريد جبريل وميكائيل وإسرافيل - زاد عثمان بن حصين - ورفائيل عليهم الصلاة والسلام(٣) . وقال محمد بن كعب: كان جبريل ومعه تسعة . وقال عطاء وجماعة: كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر. قال ابن عباس: سماهم مكرمين لأنهم غير مذعورين. وقال مجاهد: سماهم مكرمين لخدمة إبراهيم إياهم بنفسه(٤) . قال عبد الوهاب: قال لي علي بن عياض: عندي هريسة ما رأيك فيها؟ قلت: ما أحسن رأيي فيها؛ قال: امض بنا؛ فدخلت الدار فنادى الغلام فإذا هو غائب، فما راعني إلا به ومعه القمقمة والطست وعلى عاتقه المنديل، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، لو علمت يا أبا الحسن أن الأمر هكذا؛ قال: هون عليك فإنك عندنا مكرم، والمكرم إنما يخدم بالنفس؛ انظر إلى قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ .

قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ تقدم في « الحجر» . ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي عليكم سلام. ويجوز بمعنى أمري سلام أو ردي لكم سلام. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما «سلم» بكسر السين(٥) . ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي أنتم قوم منكرون؛ أي غرباء لا نعرفكم. وقيل: لأنه رآهم على غير صورة البشر، وعلى غير صورة الملائكة الذين كان يعرفهم فنكرهم، فقال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ . وقيل: أنكرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض. وقيل: خافهم؛ يقال: أنكرته إذا خفته، قال الشاعر:

فَأَنْكَرْتُنِي وما كان الذي نَكِرَتْ ... مِنَ الحوادث إلاَّ الشَّيْبَ والصَّلَعَا

قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ قال الزجاج: أي عدل إلى أهله. وقد مضى في «والصافات»(٦) . ويقال: أراغ وارتاغ بمعنى طلب، وماذا تريغ أي تريد وتطلب، وأراغ إلى كذا أي مال إليه سرا وحاد، فعلى هذا يكون راغ وأراغ لغتين بمعنى. ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ أي جاء ضيفه بعجل قد شواه لهم كما في «هود»: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩] . ويقال: إن إبراهيم انطلق إلى منزله كالمستخفي من ضيفه، لئلا يظهروا على ما يريد أن يتخذ لهم من الطعام.

قوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ يعني العجل. قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم البقر، واختاره لهم سمينا زيادة في إكرامهم(٧) . وقيل: العجل في بعض اللغات الشاة. ذكره القشيري. وفي الصحاح:

---

(١) انظر: الآية (٦٩) من سورة هود .

(٢) انظر: الآية (٥١) من سورة الحجر .

(٣) بنحوه عند ابن عطية في المحرر الوجيز (٦/ ٢٠٢) ، والماوردى (٤/ ١٧٣) في النكت والعيون .

قلت: وهذه إسرائيليات لا تصح .

(٤) صحيح إلى مجاهد : الطبري (٢٦/ ٢١٤) في تفسيره .

(٥) هذا قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٢٥) .

(٦) عند الآية (٩١) من سورة الصافات .

(٧) صحيح إلى قتادة : الطبرى (٢٦/ ٢١٥) في تفسيره ، وزاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٢٣) .

العجل ولد البقرة والعجول مثله والجمع العجاجيل والأنثى عجلة، عن أبي الجراح، وبقرة معجل ذات عجل، وعِجْل قبيلة من ربيعة.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي أحس منهم في نفسه خوفا. وقيل: أضمر لما لم يتحرموا بطعامه. ومن أخلاق الناس: أن من تحرم بطعام إنسان أمنه. وقال عمرو بن دينار: قالت الملائكة: لا نأكل إلا بالثمن. قال: كلوا وأدوا ثمنه. قالوا: وما ثمنه؟ قال: تسمون الله إذا أكلتم وتحمدونه إذا فرغتم. فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: لهذا اتخذك الله خليلا (١). وقد تقدم هذا في «هود»، ولما رأوا ما بإبراهيم من الخوف ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ وأعلموه أنهم ملائكة الله ورسله. ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ أي بولد يولد له من سارة زوجته. وقيل: لما أخبروه أنهم ملائكة لم يصدقهم، فدعوا الله فأحيا العجل الذي قربه إليهم. وروى عون بن أبي شداد: أن جبريل مسح العجل بجناحه، فقام يدرج حتى لحق بأمه وأم العجل في الدار (٢). ومعنى ﴿عَلِيمٍ﴾ أي يكون بعد بلوغه من أولي العلم بالله وبدينه. والجمهور على أن المبشر به هو إسحاق. وقال مجاهد وحده: هو إسماعيل وليس بشيء فإن الله تعالى يقول: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢]. وهذا نص (٣).

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ أي في صيحة وضجة؛ عن ابن عباس وغيره (٤). ومنه أخذ صرير الباب وهو صوته. وقال عكرمة وقتادة: إنها الرنة والتأوه ولم يكن هذا الإقبال من مكان إلى مكان (٥). قال الفراء: وإنما هو كقولك: أقبل يشتمني، أي أخذ في شتمي. وقيل: أقبلت في صرة أي في جماعة من النساء تسمع كلام الملائكة. قال الجوهري: الصرة: الضجة والصيحة، والصرة الجماعة، والصرة الشدة من كرب وغيره، قال امرؤ القيس:

فَأَلْحَقَهُ بالهَادِيَاتِ ودونَهُ جَوَاحِرُها في صَرَّةٍ لم تَزَيَّلِ

يحتمل هذا البيت الوجوه الثلاثة. وصرة القيظ شدة حره. فلما سمعت سارة البشارة صكت وجهها؛ أي ضربت يدها على وجهها على عادة النسوان عند التعجب؛ قاله سفيان الثوري وغيره(٦). وقال ابن عباس: صكت وجهها لطمته (٧). وأصل الصك الضرب؛ صكه أي ضربه؛ قال الراجز:

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ١٧٣) عن مكحول ولا يصح.

(٢) النكت والعيون للماوردي (٤/ ١٧٣)، وهذا باطل.

(٣) هو صحيح الإسناد باطل المعنى: مخالف للإجماع ولسياق القرآن، ورواه الطبري (٢٦/ ٢١٥) في تفسيره.

(٤) ضعيف: رواه الطبري (٢٦/ ٢١٥) في تفسيره من طريقين: أحدهما عن العوفيين، والآخر عن علي بن أبي طلحة وكليهما ضعيف.

(٥) صحيح إلى قتادة: الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢١٦).

(٦) وقاله السدى أيضًا كما هو الحال عند الطبري (٢٦/ ٢١٦) في تفسيره.

(٧) ضعيف: منقطع بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس كما رواه الطبري (٢٦/ ٢١٦) في تفسيره، وعزاه السيوطي (٦/ ١٣٨) في الدر لابن المنذر ولابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥١).

يا كَرَوَانا صُكَّ فاكْبَأنَّا

قال الأموي: كَبَن الظبي إذا لـطأ بالأرض واكبأن انقبض. ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي أتلد عجوز عقيم. الزجاج: أي وقالت أنا عجوز عقيم فكيف ألد ؟ كما قالت: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود: ٧٢] ﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ﴾ أي كما قلنا لك وأخبرناك ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ فلا تشكي فيه، وكـان بين البشارة والولادة سنة وكانت سارة لم تلد قبل ذلك فولدت وهي بنت تسع وتسـعين سنة، وإبراهيم يومئذ ابن مائة سنةوقد مضى هذا. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ حكيم فيما يفعله عليم بمصالح خلقه.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ لما تيقن إبراهيم عليـه السلام أنهم ملائكة بإحـياء العجل والبشارة قال لهم: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي ما شأنكم وقصتكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ يريد قوم لوط. ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ أي لنرجمهم بها. ﴿مُسَوَّمَةً﴾ أي معلمة. قيل: كانت مـخططة بسواد وبياض. وقـيل: بسواد وحمـرة. وقيل: ﴿مُسَوَّمَةً﴾ أي معـروفة بأنها حـجارة العذاب. وقيل: على كل حجر اسم من يهلك به. وقيل: عليـها أمثال الخواتيم. وقد مضى هذا كله في «هود» (١). فجعلت الحجـارة تتبع مسافريهم وشذاذهم فلم يفلـت منهم مخبر. ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي عند الله وقد أعدها لرجم من قضى برجمه. ثم قـيل: كانت مطبوخة طبخ الآجر؛ قاله ابن زيد وهو معنى قوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤] على ما تقدم بيانه في «هود». وقيل: هي الحجارة التي نراها وأصلها طين، وإنما تـصير حجـارة بإحراق الشمس إياها على مـر الدهور. وإنما قال: ﴿مِّن طِينٍ﴾ ليعلم أنها ليست حجارة الماء التي هي البرد. حكاه القشيري.

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي لما أردنا إهلال قوم لوط أخرجنا من كان في قومه من المؤمنين؛ لئـلا يهلك المومنون، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود: ٨١]. ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يعني لوطا وبنتيه وفيـه إضمار؛ أي فما وجدنا فيها غـير أهل بيت. وقد يقال: بيت شريف يراد به الأهل. وقوله: ﴿فِيهَا﴾ كناية عن القرية ولم يتقدم لهـا ذكر؛ لأن المعنى مفهوم. وأيضا فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يدل على القرية؛ لأن القوم إنمـا يسكنون قرية. وقيل: الضمير فيها للجماعة. والمؤمنون والمسلمون ها هنا سواء فجنس اللفظ لئلا يتكرر، كما قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. وقيل: الإيمان تصديق القلب، والإسلام الانـقياد بالظاهر، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مـؤمنا. فسماهم في الآية الأولى مؤمنين؛ لأنه ما من مـؤمن إلا وهو مسلم. وقد مضى الكلام في هذا المعنى في «البقرة»(٢) وغيرها. وقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ [الحجرات: ١٤] يدل على الفرق بين الإيمان والإسلام، وهو مقتضى حديث جبريل ـ عليه السلام ـ في «صحيح مسلم».

(١) عند الآيتين (٨٢، ٨٣).
(٢) عند الآية (٨).

وغيره[١]. وقد بيناه في غير موضع.

قوله تعالى: ﴿وتركنا فيها آية﴾ أي عبرة وعلامة لأهل ذلك الزمان ومن بعدهم؛ نظيره ﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون﴾ [العنكبوت: ٣٥]. ثم قيل: الآية المتروكة نفس القرية الخربة. وقيل: الحجارة المنضودة التي رجموا بها هي الآية. ﴿للذين يخافون العذاب الأليم﴾ لأنهم المنتفعون.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وفي موسى﴾ أي وتركنا أيضا في قصة موسى آية. وقال الفراء: هو معطوف على قوله: ﴿وفي الأرض آيات﴾ [الذاريات: ٢٠]، ﴿وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين﴾ أي بحجة بينة وهي العصا. وقيل: أي بالمعجزات من العصا وغيرها. ﴿فتولى﴾ أي فرعون أعرض عن الإيمان ﴿بركنه﴾ أي بمجموعة وأجناده؛ قاله ابن زيد[٢]، وهو معنى قول مجاهد، ومنه قوله: ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾ [هود: ٨٠] يعني المنعة والعشيرة.

وقال ابن عباس وقتادة: بقوته[٣].

ومنه قول عنترة:

فما أوْهَى مِراسُ الحربِ رُكْني ولكن ما تقادم من زماني

وقيل: بنفسه. وقال الأخفش: بجانبه؛ كقوله تعالى: ﴿أعرض ونأى بجانبه﴾ [فصلت: ٥١] وقاله المؤرج. الجوهري: وركن الشيء جانبه الأقوى، وهو يأوي إلى ركن شديد أي عزة ومنعة. القشيري: والركن جانب البدن. وهذا عبارة عن المبالغة في الإعراض عن الشيء ﴿وقال ساحر أو مجنون﴾ ﴿أو﴾ بمعنى الواو، لأنهم قالوهما جميعا. قاله المؤرج والفراء.

وأنشد بيت جرير:

أئعلبةَ الفَوارسَ أو رِياحا عَدلت بهم طُهية والخشَابا

وقد توضع ﴿أو﴾ بمعنى الواو؛ كقوله تعالى: ﴿ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ [الإنسان: ٢٤] والواو بمعنى أو، كقوله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ [النساء: ٣] وقد تقدم جميع هذا. ﴿فأخذناه وجنوده﴾ لكفرهم وتوليهم عن الإيمان. ﴿فنبذناهم﴾ أي طرحناهم ﴿في اليم وهو مليم﴾ يعني فرعون، لأنه أتى ما يلام عليه.

﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وفي عاد﴾ أي وتركنا في عاد آية لمن تأمل ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ وهي التي لا تلقح سحابا ولا شجرا، ولا رحمة فيها ولا بركة ولا منفعة؛ ومنه امرأة عقيم لا تحمل ولا تلد. ثم

(١) صحيح: وقد سبق.

(٢) الطبري في تفسيره (٢٧/ ٣)

(٣) صحيح إلى مجاهد: الطبري (٤/ ٢٧) في تفسيره

قيل: هي الجنوب. روى ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن النبي ﷺ قال: «الريح العقيم الجنوب»(١). وقال مقاتل: هي الدبور كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور» (٢). وقال ابن عباس: هي النكباء (٣). وقال عبيد بن عمير: مسكنها الأرض الرابعة وما فتح على عاد منها إلا كقدر منخر الثور (٤). وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضا: أنها الصبا؛ فالله أعلم.

قوله تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ أي كالشيء الهشيم؛ يقال للنبت إذا يبس وتفتت: رميم وهشيم.

قال ابن عباس: كالشيء الهالك البالي (٥)؛ وقاله مجاهد (٦): ومنه قول الشاعر:

تَرَكْتَنِي حِينَ كَفَّ الدَّهرُ مِنْ بَصَرِي ... وإذْ بَقِيتُ كعَظْمِ الرِّمَّةِ البَالِي

وقال قتادة: إنه الذي ديس من يابس النبات (٧). وقال أبو العالية والسدي: كالتراب المدقوق(٨). قطرب: الرميم الرماد. وقال يمان: ما رمته الماشية من الكلأ بمرمتها. ويقال للشفة: المرمة والمقمة بالكسر، والمرمة بالفتح لغة فيه. وأصل الكلمة من رم العظم إذا بلي؛ تقول منه: رم العظم يرم بالكسر رمة فهو رميم، قال الشاعر:

ورأى عَواقِبَ خُلْفِ ذَاكَ مَذَمَّةً ... تَبْقَى عليه والعظامُ رَمِيمُ

والرِّمَّةُ - بالكسر - العظام البالية والجمع رِمَمٌ ورِمَامٌ. ونظير هذه الآية ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥] حسب ما تقدم.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ۝ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ أي وفيهم أيضا عبرة وآية حين قيل لهم: عيشوا متمتعين بالدنيا ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي إلى وقت الهلاك وهو ثلاثة أيام كما في هود: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]. وقيل: معنى ﴿تَمَتَّعُوا﴾ أي أسلموا وتمتعوا إلى وقت فراغ آجالكم. ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي خالفوا أمر الله فعقروا الناقة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ أي الموت.

---

(١) مرسل: رواه الطبري عن الحارث، عن سعيد بن المسيب موقوفًا عليه كما في تفسيره (٦/ ٢٧).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٣٤٣) في أحاديث الأنبياء، ومسلم (٩٠٠/ ١٧) في صلاة الاستسقاء، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وقول مقاتل عند الماوردي (٤/ ١٧٤) في النكت والعيون.

(٣) وجدته في الدر المنثور (٦/ ١٣٩) للسيوطي، وفتح القدير (٧/ ٥٢) للشوكاني معزوًا للفريابي، وابن المنذر، عن علي - رضي الله عنه.

(٤) وجدته في العظمة (٤/ ١٣٣٣)، عن عطاء بن يسار، عن كعب، فالخبر من الإسرائيليات.

(٥) ضعيف: الطبري (٢٦/ ٩٧) في تفسيره من طريق العوفيين.

(٦) صحيح: انظر: السابق (٢٦/ ٩٧).

(٧) النكت والعيون (٤/ ١٧٤) للماوردي.

(٨) السابق (٤/ ١٧٤)، والبغوي (٧/ ٣٧٨) في تفسيره.

وقيل: هي كل عذاب مهلك. قال الحسين بن واقد: كل صاعقة في القرآن فهو العذاب [١]. وقرأ عمر بن الخطاب وحميد وابن محيصن ومجاهد والكسائي «الصعقة» [٢] يقال: صَعِقَ الرَّجلُ صَعْقَةً وتَصْعَاقًا أي غشي عليه. وصعقتهم السماء أي ألقت عليهم الصاعقة. والصاعقة أيضا صيحة العذاب وقد مضى في « البقرة » [٣] وغيرها. ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إليها نهارا. ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ قيل: معناه من نهوض. وقيل: ما أطاقوا أن يستقلوا بعذاب الله وأن يتحملوه ويقوموا به ويدفعوه عن أنفسهم؛ تقول: لا أقوم لهذا الأمر أي لا أطيقه. وقال ابن عباس: أي ذهبت أجسامهم وبقيت أرواحهم في العذاب. ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ أي ممتنعين من العذاب حين أهلكوا، أي ما كان لهم ناصر.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو: « وَقَومِ نوح» بالخفض [٤]؛ أي وفي قوم نوح آية أيضا. الباقون بالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح، أو يكون معطوفا على الهاء والميم في ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾ [الذاريات :٤٤] أو الهاء في «أخذناه » أي فأخذتهم الصاعقة وأخذت قوم نوح، أو﴿ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [الذاريات: ٤٠] ونبذنا قوم نوح، أو يكون بمعنى اذكر.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ لما بين هذه الآيات قال: وفي السماء آيات وعبر تدل على أن الصانع قادر على الكمال، فعطف أمر السماء على قصة قوم نوح لأنهما آيتان. ومعنى ﴿بِأَيْدٍ﴾ أي بقوة وقدرة [٥]. عن ابن عباس وغيره [٦]. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قال ابن عباس: لقادرون [٧].

وقيل: أي وإنا لذو سعة، وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده.

وقيل: أي وإنا لموسعون الرزق على خلقنا. عن ابن عباس أيضا. الحسن: وإنا لمطيقون [٨]. وعنه أيضا: وإنا لموسعون الرزق بالمطر [٩].

---

(١) سبق تخريجه .

(٢، ٤) قراءتان متواترتان : تقريب النشر (ص١٧٦) .

(٣) عند الآية (١٩) .

(٥) هذا صحيح : وليس هذا بالتأويل ،وذلك ما يوضحه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ١٩٩) فيقول في معرض الرد على تأوّل اليدين بالقدرة .

« والقوة إما تسمى الأيد في لغة العرب ؛ لا اليد ، ومن لا يفرق بين اليد والأيد فهو إلى التعليم والتسليم إلى الكتاتيب أحوج منه إلى التروس والمناظرة . ا . هـ بتصرف

(٦) منقطع : بين ابن عباس وعلي بن أبي طلحة كما في تفسير الطبري (٢٧/ ٨) وكذا رواه قتادة ومجاهد ، ومنصور ، وابن زيد.

(٧) تفسير البغوي (٧/ ٣٧٩) .

(٨، ٩) زاد المسير (٥/ ٤٢٤) لابن الجوزي بنحوه دون عزو ، والماوردى في النكت والعيون (٤/ ١٧٥) .

وقال الضحاك [١]: أغنيناكم؛ دليله ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. وقال القتبي: ذو سعه على خلقنا. والمعنى متقارب. وقيل: جعلنا بينهما وبين الأرض سعة. الجوهري: وأوسع الرجل أي صار ذا سعة وغنى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي أغنياء قادرون. فشمل جميع الأقوال. ﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ أي بسطناها كالفراش على وجه الماء ومددناها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ أي فنعم الماهدون نحن لهم. والمعنى في الجمع التعظيم؛ مهدت الفراش مهدا بسطته ووطأته، وتمهيد الأمور تسويتها وإصلاحها.

قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي صنفين ونوعين مختلفين. قال ابن زيد: أي ذكرا وأنثى وحلوا وحامضا ونحو ذلك [٢]. مجاهد. يعني الذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والنور والظلام، والسهل والجبل، والجن والإنس، والخير والشر، والبكرة والعشي، وكالأشياء المختلفة الألوان من الطعوم والأراييح والأصوات. أي جعلنا هذا كهذا دلالة على قدرتنا، ومن قدر على هذا فليقدر على الإعادة [٣]. وقيل: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ لتعلموا أن خالق الأزواج فرد، فلا يقدر في صفته حركة ولا سكون، ولا ضياء ولا ظلام، ولا قعود ولا قيام، ولا ابتداء ولا انتهاء؛ إذ هو عز وجل وتر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ۝ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ لما تقدم ما جرى من تكذيب أممهم لأنبيائهم وإهلاكهم؛ لذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ: قل لهم يا محمد؛ أي قل لقومك: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي فروا من معاصيه إلى طاعته. وقال ابن عباس: فروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم. وعنه: فروا منه إليه واعملوا بطاعته [٤]. وقال محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ اخرجوا إلى مكة [٥]. وقال الحسين بن الفضل: احترزوا من كل شيء دون الله فمن فر إلى غيره لم يمتنع منه [٦]. وقال أبو بكر الوراق: فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن. وقال الجنيد: الشيطان داع إلى الباطل ففروا إلى الله يمنعكم منه. وقال ذو النون المصري: ففروا من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الشكر. وقال عمرو بن عثمان: فروا من أنفسكم إلى ربكم. وقال أيضا: فروا إلى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم. وقال سهل بن عبد الله: فروا مما سوى الله إلى الله. ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي أنذركم عقابه على الكفر والمعصية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ أمر محمدا ﷺ أن يقول هذا للناس وهو النذير. وقيل: هو خطاب من الله للخلق ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ﴾ أي من محمد وسيوفه ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي أنذركم بأسه وسيفه

(١ ـ ٦) تفسير البغوي (٧/ ٣٧٩).

إن أشركتم بي؛ قاله ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ﴾ هذا تسلية للنبي ﷺ؛ أي كما كذبك قومك وقالوا: ساحر أو مجنون، كذب من قبلهم وقالوا مثل قولهم. والكاف من ﴿كَذَلِكَ﴾ يجوز أن تكون نصبا على تقدير أنذركم إنذارا كإنذار من تقدمني من الرسل الذين أنذروا قومهم، أو رفعا على تقدير الأمر كذلك أي كالأول. والأول تخويف لمن عصاه من الموحدين، والثاني لمن أشرك به من الملحدين. والتمام على قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ عن يعقوب وغيره. قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ أي أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب، وتواطؤوا عليه؛ والألف للتوبيخ والتعجب. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي لم يوص بعضهم بعضا بل جمعهم الطغيان، وهو مجاوزة الحد في الكفر. قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي أعرض عنهم واصفح عنهم ﴿فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ عند الله لأنك أديت ما عليك من تبليغ الرسالة، ثم نسخ هذا بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقيل: نسخ بآية السيف. والأول قول الضحاك [1]؛ لأنه قد أمر بالإقبال عليهم بالموعظة. وقال مجاهد[2]: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عنهم ﴿فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي ليس يلومك ربك على تقصير كان منك ﴿وَذَكِّرْ﴾ أي بالعظة، فإن العظة ﴿تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. قتادة: ﴿وَذَكِّرْ﴾ بالقرآن ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ﴾ به ﴿تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وقيل: ذكرهم بالعقوبة وأيام الله. وخص المؤمنين؛ لأنهم المنتفعون بها.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ قيل: إن هذا خاص فيمن سبق في علم الله أنه يعبده، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص. والمعنى: وما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس إلا ليوحدون. قال القشيري: والآية دخلها التخصيص على القطع؛ لأن المجانين والصبيان ما أمروا بالعبادة حتى يقال: أراد منهم العبادة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة، فالآية محمولة على المؤمنين منهم؛ وهو كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ [الحجرات: ١٤] وإنما قال فريق منهم. ذكره الضحاك والكلبي والفراء والقتبي [3]. وفي قراءة عبد الله: «وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون» وقال علي رضي الله عنه: أي وما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم بالعبادة [4]. واعتمد الزجاج على هذا القول، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة: ٣١]. فإن قيل: كيف كفروا

(١) والقول بالنسخ هنا ضعيف لعدم التعارض، وهذا مما لا ينفي القتال.

(٢) ضعيف: فيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، كما عند الطبري (٢٧ / ١٢) في تفسيره.

(٣) راجع الآية (١٤) من سورة الحجرات، وتفسير البغوي (٧/ ٣٨٠) فقد ذكره عن الكلبي هناك.

(٤) عزاه الشوكاني (٧/ ٥٢) في فتح القدير لابن المنذر، عن علي ـ رضي الله عنه، والبغوي (٧/ ٣٨٠) في تفسيره.

وقد خلقهم للإقـرار بربوبيته والتذلل لأمـره ومشيئته؟ قـيل: تذللوا لقضائه عليهم؛ لأن قـضاءه جار عليهم لا يقدرون على الامتناع منه، وإنما خالفهم من كفـر في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه. وقيل: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي إلا ليقروا لي بالعبـادة طوعا أو كرها؛ رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [١]. فالكره ما يرى فيهم من أثر الصنعة. مجاهد: إلا ليعرفوني [٢]. الثعلبي: وهذا قول حسن؛ لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده. ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] وما أشبه هذا من الآيات. وعن مجاهد أيضا: إلا لآمرهم وأنهاهم [٣]. زيد بن أسلم: هو ما جـبلوا عليه من الشـقوة والسعـادة؛ فخلق السـعداء من الجن والإنس للعـبادة، وخلق الأشقياء منهم للمـعصية [٤]. وعن الكلبي أيضا: إلا ليوحدون [٥]، فأما المؤمن فيـوحده في الشدة والرخاء، وأمـا الكافر فيوحـده في الشدة والبلاء دون النعـمة والرخاء؛ يدل عليه قـوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢] الآية. وقال عكرمة: إلا ليعـبدون ويطيعون فأثيب العابد وأعاقب الجاحد. وقيل: المعنى إلا لأستعبدهم. والمعنى متقارب؛ تقول: عبد بَيِّنُ العبودة والعبودية، وأصل العبودية الخضوع والذل. والتعبيد التذليل؛ يقال: طريق معبد. قال:

وظِيفاً وَظِيفاً فوقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ

والتعبـيد الاستعباد وهو أن يتـخذه عبدا. وكذلك الاعتـباد. والعبادة الطاعة، والتـعبد التنسك. فمعنى ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ ليذلوا ويخضعوا ويعبدوا. ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ ﴿مِن﴾ صلة أي رزقا بل أنا الرزاق والمعطي. وقال ابن عبـاس وأبو الجوزاء: أي ما أريد أن يرزقوا أنفسـهم ولا أن يطعموها [٦]. وقيل: المعنى ما أريد أن يرزقوا عبادي ولا أن يطعموهم ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ وقرأ ابن محيصن وغيره «الرازق» ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ أي الشديد القـوي. وقرأ الأعمش ويحـيى بن وثاب والنخعي «المتين» بالجر على النعت للقوة. البـاقون بالرفع على النعت لـ ﴿الرَّزَّاقُ﴾ أو ﴿ذُو﴾ من قوله: ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ أو يكون خبر ابتداء محذوف؛ أو يكون نعتا لاسم ﴿إِنَّ﴾ على الموضع، أو خبرا بعد خبر.

قال الفـراء: كان حقه المتـينة فذكره لأنه ذهب بهـا إلى الشيء المبرم المحكم الفتل؛ يقـال: حبل متين. وأنشد الفراء:

لِكُلِّ دَهْرٍ قَدْ لَبِسْتُ أَثْوُباً حَتَّى اكْتَسَى الرَّأْسُ قِنَاعاً أَشْيَبَا
مِن ريطةٍ وَالْيُمْنَةَ الْمُعَصَّبَا

---

(١) منقطع: بين علي بن أبي طلحة وابن عباس ـ رضي الله عنهما: الطبري (٢٧/ ١٣) في تفسيره.
(٢) ذكره البغوي (٧/ ٣٨٠) في تفسيره.
قلت: والمعرفة تالية بعد التوحيد؛ لأن أول واجب على المكـلف التوحيد، فما من نبي بدأ دعوته إلا ويـقول: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. فهذا هو الواجب الأول، والله أعلم، قاله ابن باز في تعليقه على الفتح.
(٣، ٤) تفسير البغوي (٧/ ٣٨٠)، وانظر: الدر المنثور (٦/ ١٤٢) للسيوطي، وعزاه لابن المنذر.
(٥) ولعله الصحيح: السابق (٧/ ٣٨١).
(٦) حسن: الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٤).

فذكر المعـصب؛ لأن اليمنة صنف من الثياب؛ ومن هذا البـاب قوله تعالى: ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥] أي وعظ ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ [مود: ٦٧] أي الصياح والصوت.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي كفروا من أهل مكة ﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ أي نصيبا من العذاب مثل نصيب الكفار من الأمم السالفة. وقال ابن الأعرابي: يقال: يوم ذَنُوبٌ أي طويل الشر لا ينقضي. وأصل الذَّنوب في اللغـة الدلو العظيمة، وكانوا يستـقون الماء فيقسمـون ذلك على الأنصباء فقيل للذَّنوب نصيب من هذا؛ قال الراجز:

لَنَا ذَنُوبٌ ولَكُم ذَنُوب فإنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا القَلِيبُ

وقال علقمة:

وفي كلِّ يومٍ قد خَبَطْتَ بِنِعْمةٍ فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ والمَنَايَا طارِقاتٌ لِكلِّ بَنِي أَبٍ منها ذَنُوبُ

الجـوهري: والذَّنُوب: الفرس الطويل الذَّنَب، والـذَّنُوب النصيب، والذَّنُوب: لحم أسـفل المتن، والذَّنُوب الدلو الملآى ماء. وقال ابن السكيـت: فيها ماء قريب من الملء يؤنث ويذكـر، ولا يقال لها وهي فـارغة: ذَنُوب، والجـمع في أدنى العدد أذنبـة والكثيـر ذَنائب، مثل قَلُوص وقَـلائص. ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي فلا يستعجلون نزول العـذاب بهم؛ لأنهم قالوا: يا محمد ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠] فنزل بهم يوم بدر ما حقق به وعده وعجل بهم انتقامه، ثم لهم في الآخرة العذاب الدائم، والخزي القائم، الذي لا انقطاع له ولا نفاد، ولا غاية ولا آباد.

تم تفسير سورة «الذاريات» والحمد لله.